الفصل الثالث

الأهداف الرئيسية لأدب الأطفال

obeikandl.com

obeikandl.com

أهداف أدب الطفل

تمهيد:

كل عمل عند الإنسان مرتبط بالغاية التي حددها له، أيّاً كانت عقيدة الإنسان وطبيعته، لأنه مخلوق تميز بالعقل والتفكير والإدراك والإرادة.

قد تبدو الغاية واضحة وقد لا تبدو، قد تكون غاية نبيلة وقد لا تكون، ولكن ثمة غاية مع كل عمل، وثمة هدف عند كل نشاط إنساني.

وفي الإسلام كل عمل ابن آدم مرهون بالغاية، ومرتبط بالباعث والنية التي تكمن وراءه، فترسم أهدافه وغاياته[1].

ولأدب الطفل أهدافه وغاياته؛ لأنه أدب موجه إلى فئة محدودة، ولغايات واضحة.

ولقد حدد كثير من المهتمين بهذا الأدب بعض الأهداف له، وتركها آخرون مكتفين بالإشارات المبثوثة هنا وهناك عن هذه الغايات، فالدكتور الحديدي مثلاً يرى أن دور أدب الأطفال يأتي: «ليبث الإيمان بالله والوطن والإنسانية في القلوب الغضة الرقيقة، وليدفع بالأطفال إلى خدمة الآخرين، ولينمي فيهم الوعي الجماعي وروح التعاون»[2].

---

(١) انظر: دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ١/ ٤، ط دار الفكر بيروت، وفيه تفصيل عن ارتباط الأعمال بالنيات، وكذلك: نزهة المتقين شرح رياض الصالحين: د/ مصطفى الخن وآخرون ١/ ٢٠، ط ١، ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م، مؤسسة الرسالة بيروت.

(٢) في أدب الأطفال/ ٥٨.

وغاية أدب الأطفال عنده أيضاً «لَيْستْ هي إذكاء الخيال عند الصغار فقط، ولكنها تتعداه إلى تزويدهم بالمعلومات العلمية، والنظم السياسية والتقاليد الاجتماعية، والعواطف الدينية والوطنية، وإلى توسيع قاموس اللغة عندهم، ومدِّهم بعادة التفكير المنظم، ووصلهم بركب الثقافة والحضارة من حولهم... ومهمته تقوية إيمان الطفل بالله والوطن والخير والعدالة والإنسانية»[1].

وفي هذه السطور جملة من الأهداف العامة والخاصة، ولكن بعضها متداخل مع بعض، وقد تتعارض أحياناً، فضلاً عن التعميم وعدم التحديد.

فالإيمان بالله كلمة عامة.. غير مرتبطة بعقيدة محددة، أو دين معروف. وبالتالي فليس لذلك دلالة ولا أثر واضح.

وكذلك الإيمان بالوطن والخير.. لأن هذه الكلمات مشتركة قد تعني هنا شيئاً وتعني هناك شيئاً آخر. فضلاً عن الأهداف الأخرى التي تدخل في إطار التعميم مثل (النظم السياسية والتقاليد الاجتماعية، والعواطف الدينية والوطنية).

وترد مثل هذه الإشارات في العديد من الكتب مثل: «خَلْقِ الاتجاهات الحميدة وغرس حب الوطن والوطنية الحقة في نفوسهم. ويساعد الأدب على تكوين الذوق الفني... ومعرفة الفنون.. وكسب المعرفة، ويسهم في المستقبل القومي والوطني والإنساني للطفل العربي»[2].

ويعدد بعضهم هذه الأهداف ضمن نواح محددة كالنواحي الثقافية، والنواحي الخلقية، والنواحي الروحية، والنواحي الاجتماعية، والنواحي

---

(١) المصدر السابق/ ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) أدب الأطفال ومكتباتهم: هيفاء شرايحة/ ٤٥، ٤٦.

القومية، والنواحي العقلية والنواحي الجمالية، والنواحي الترويحية[1].

ويبدو الاهتمام بتحديد الأهداف عند أصحاب المذاهب الفكرية المحددة واضحاً. ففي سورية مثلاً خصصت مجلة الموقف الأدبي عدداً ممتازاً لأدب الطفل في سورية[2]، وأوضحت المجلة أن سبب اهتمامها بأدب الطفل لأنه سبيل لبناء الذات، ومكون رئيسٌ للشخصية القومية، ومن غاياته وطوابعه ما يلي:

١ ـ الطابع التربوي لأدب الأطفال.

٢ ـ والطابع القومي.

٣ ـ والطابع الشعبي.

٤ ـ والطابع الأيديولوجي[3].

بل أوضحت بعض المقالات والدراسات في هذا العدد الأهداف الخاصة لأدب الأطفال في سورية في ظل التوجه العلماني الاشتراكي القومي.. «التربية في سورية موجهة»[4] «وأدب الأطفال ـ على صعيد المضمون ـ تتضح الأشكال في تحقيق الجانب القيمي والمعرفي الذي نصت عليه أهداف التربية في القطر»[5].

بل ويرى بعضهم أن من أهداف أدب الأطفال إيجاد معجم لغوي

---

(١) أدب الأطفال، مبادئه، ومقوماته الإنسانية. محمد محمود رضوان وأحمد نجيب/ ١١ ـ ١٠ ـ ١٣، من مطبوعات وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية وهو الجزء الأول للصف الرابع بدور المعلمين والمعلمات.

(٢) وهو يشمل الأعداد (٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠) وصدر في تشرين الأول ١٩٨٨ م السنة ١٨.

(٣) المصدر السابق/ ٨، ٩.

(٤) المصدر السابق/ ٢١ من مقال: قضية أدب الأطفال بين الفن والتربية في سورية: ندوة النوري.

(٥) المصدر السابق/ ٢٢.

خاص بالأطفال والابتعاد بهم عن الألفاظ القديمة التي لها علاقة بالتراث القديم، أو الإسلام أو النصوص القديمة[1].

وفي دراسة عن (مشكلات قصص الأطفال في سورية)[2] حدد الباحث القِيَمَ السَّائدة في القصص التي درسها وفق التدرج النازل التالي:

١ ـ القيم المعرفية والثقافية.

٢ ـ القيم الاجتماعية وتكامل الشخصية والقومية والوطنية.

٣ ـ القيم العملية الاقتصادية والأخلاقية والجسمانية والترويحية. وأما مضامين هذه القيم كما حددها البحث فهي القيم التي أوردها تصنيف (وايت) المطور في عدة مجموعات منها:

ـ **القيم الاجتماعية**، وتتضمن: وحدة الجماعة، الظرف واللطافة، قواعد السلوك، التواضع، المماثلة، الكرم والعطاء، التسامح، حب الناس.

ـ **القيم الخلقية**، وتتضمن: الأخلاق، الصداقة، العدالة، الطاعة، الدين.

ـ **القيم القومية/ الوطنية**، وتتضمن: الوطنية، حرية الوطن وحدة الأقطار المجزأة.

ـ **القيم الجسمانية**، وتتضمن: الطعام والراحة والنشاط، والصحة وسلامة الجسم، الرفاهية، النظافة.

ـ **القيم الترويحية**، وتتضمن: الخبرة الجديدة، والإثارة، والجمال، والمرح، والتعبير الذاتي المبدع.

---

(١) المصدر السابق: اقتراب أولي من أدب الأطفال.

(٢) صاحب الدراسة: سمر روحي الفيصل من منشورات اتحاد الكتاب العرب.

- **القيم الخاصة بتكامل الشخصية**، وتتضمن: السعادة، التحصيل والنجاح، التقدير، احترام الذات، السيطرة، العدوان، القوة، التصميم، الحرص، الانتباه، استقلال الفرد، المظهر.

- **القيم المعرفية الثقافية**، وتتضمن: المعرفة، والذكاء والثقافة.

- **القيم العملية الاقتصادية**، وتتضمن: الواقعية، العمل، الضمان الاقتصادي، الملكية الاشتراكية[1].

وهذا التحديد للقيم مبني على أساس النظرية الماركسية المادية التي تنظر إلى الحياة نظرة مادية، وأن التطور المادي هو الذي يعكس شتى الصور والنشاطات المختلفة، ولذلك نرى في هذا التحديد التأكيد على ما يخدم هذه النظرية، مثل: الملكية الاشتراكية، ووحدة الجماعة، والعمل، والضمان الاقتصادي، وتجلى ذلك في عدد من القيم التي أشار إليها الدارس.

فضلاً عن ذلك فإن المعاني التي تهدف إليها هذه القيم تختلف كثيراً عن المعاني التي يعرفها المسلم، ولذلك لم نجد في هذه القيم ما يشير إلى الدين والمعتقد، والأخلاق التي تغرسها العقيدة في نفوس الناس، لأن الدين في نظر أصحاب هذا الاتجاه ما هو إلا صورة من صور التطور والاستغلال، والبورجوازية، والتخلف والأساطير، ولذلك يهتم بما تنادي به الشعارات العلمانية باسم القيم الخلقية: كالصداقة والعدالة، وجعل الدين فقرة من فقرات القيم الخلقية.

وكذلك فإن كثيراً من القيم التي وردت في المجموعات السابقة كالصدق والصبر والعدالة والعمل والوطنية والثقافة وغيرها قيم متطورة[2].

مما سبق نرى أن القيم التي يهدف إليها أدب الأطفال في صورته

---

(١) مشكلات قصص الأطفال في سورية/ ١٢ - ١٤.

(٢) القيم التربوية في ثقافة الطفل: الهيئة المصرية للكتاب/ ١٠.

المعاصرة في العالم العربي غير واضحة، لأن هذا الأدب الناشىء جاء انعكاساً للأدب الغربي، فضلاً عن أنه نشأ في ظل أوضاع تقف من الإسلام موقفاً معادياً في كثير من الأوقات. والثقافة والأدب بأيدٍ تنتمي إلى مدارس فكرية تنكر الدين وتحاربه، وتنظر إليه بازدراء.

ومما يؤكد ذلك كثير من الدراسات التي اهتمت بالقيم التربوية في أدب الأطفال، أو القيم بشكل عام، وكان جُلُّ اهتمامها بالجوانب المادية من حياة الطفل، بل اعتمدت في آرائها على النظريات الغربية حول النفس الإنسانية بعامة، ونفس الطفل بخاصة.

ولقد عقدت واحدة من هذه الدراسات عن الطفل في معرض القاهرة الدولي الثاني لكتب الأطفال ما بين ٣٠ تشرين ثاني نوفمبر ـ ٤ كانون أول ديسمبر ١٩٨٥ م تحت عنوان (القيم التربوية في ثقافة الطفل) واشترك فيها عدد من الباحثين والمختصين بأدب الأطفال، وانتهت إلى عدة توصيات منها:

١ ـ يطلب إلى أقسام دراسة علم النفس في الجامعات الاهتمام بمراجعة ما يؤلف للطفل بهدف تعديل بعض المسارات والاتجاهات في الكتابة للطفل بما يتناسب مع متطلباته وحاجاته في تنمية شخصيته نمواً سوياً.

٢ ـ توصي الندوة مؤلفي كتب الأطفال بالاهتمام بتنمية ملكة الخيال الخلاق المبدع الذي يسمو فوق مشكلات الحاضر، ويرتاد بالأطفال الطريق الأمثل نحو حياة أفضل.

٣ ـ أن تخضع المواد المترجمة للأطفال لدقة في الاختيار، وأمانة في النقل، مع مراعاة ألا يكون فيها ما يشوش قيمنا أو تاريخنا.

٤ ـ الإلحاح على هدف الانتماء العربي في تأليف قصص الأطفال.

٥ ـ حبذا الإحياء للتراث بإعادة صياغة القصص العربي، وتعاد

الصياغة على نحو يماشي روح العصر[1].

وهناك عدد آخر من التوصيات له علاقة بكتب الأطفال عامة من حيث الشكل والمضمون والإخراج والنشر.. إلخ.

وهذه التوصيات جيدة، ولكنها اهتمت بجانب واحد، وتركت جوانب كثيرة وأهمها تحديد الأهداف الواضحة لهذا الأدب.

وهناك اتجاهات أخرى دأبت على تسخير أدب الطفل لإخراج جيل يؤمن بالعلمانية، ويدين بالاشتراكية العلمية، وينسلخ عن ماضيه وتراثه وقيمه، ويتنكر لتاريخه، ويرفض معتقداته: «نحن نطمح إلى بناء إنسان جديد عن طريق تنمية شخصيات الأطفال جسمياً وعقلياً ونفسياً واجتماعياً ولغوياً».

وهذا مطلب عام، يفسره ما ورد في القيم التي يرنو لها أدب الأطفال في نظر أصحاب هذا المذهب. فنرى ـ مثلاً ـ مسألة الوطن أصبحت ضمن المفهوم الاشتراكي على الشكل التالي:

«ونريد تنمية اعتزاز الأطفال بالوطن، وتهيئتهم للإسهام بمسؤولياتهم في الغد تجاهه، وتربيتهم تربية وطنية قومية، وتعريفهم بالقيم الإنسانية».

ثم يفسر هذا المضمون قائلاً: «وهنا لا بد من الإشارة إلى أن البعض يتصورون أن بث مشاعر الفضيلة والإحسان والرحمة والشفقة تكفي لأن تكون المعين الأكبر لأدب الأطفال، ولكن هذا التصور على جانب من الخطأ، حيث خاب رجاء المفكرين الطوبائيين منذ زمان بعيد حين كانوا يتصورون أن معضلات الإنسانية يمكن أن تجد الحل عن طريق هذه

---

(١) الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٥ (القيم التربوية في ثقافة الطفل) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧/ ٢١٨ ـ ٢٢١. ولقد أسهم في هذه الحلقة عدد من العاملين في مجال ثقافة الطفل تحت إشراف الدكتورة سهير القلماوي وشهد الحلقة باحثون من الكويت وتونس واليمن.

الدعوات، إذ ظهر اليوم بشكل واضح أن المعضلات الإنسانية لها حل نهائي يتمثل في النظام الاجتماعي الذي يحرر الإنسان من كل القيود، ويوفِّر له كل الحاجات الاجتماعية، ويطلق قدراته وملكاته ومواهبه، وينقل جهوده من ميدان التصادم إلى ميدان التعاون الإنشائي.

وعليه لا بد من تهيئة الطفل لأن يتجه في هذه السبيل الأخيرة وإعداده لأن يتحمل ـ فيما بعد ـ مسؤولية بناء النظام الجديد بدل الاكتفاء باستدرار عطفه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل في كلمات باكية جوفاء»[1].

وواضح أسلوب الاستنكار والاستهزاء بالقيم والأساليب التي يعلِّمها الإسلام للناس عامة في التراحم والتعاطف والتكافل والتعاون حيث لا يرى المؤلف في هذا غير كلمات باكية جوفاء، ويريد من أطفال الغد رفض هذا المنهج وبناء النظام الجديد الذي يدعو إليه الكاتب ويفصح عنه بالعبارة التالية:

«وينبغي أن يكون الطفل في موقع الناقد الواقعي المنشىء.. ونريد أن نبعد عن أطفالنا كل آثار النزعات الإشكالية واللامسؤولة واللامبالاة، والتقليد الأعمى، والكذب، والرياء والخنوع، والتفكير الخرافي الهدام».

«ونريد تنمية السلوك الاشتراكي في نفوس الأطفال، وغرس الثورة الدائمة في نفوسهم ضد كل آثار الاستغلال، وبناء شخصياتهم بناءً يمكِّنهم من العمل المبدع»[2].

---

(١) أدب الأطفال ـ فلسفته، فنونه، وسائطه: بقلم هادي نعمان الهيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧/ ٩٤ ـ ٩٦، وواضح أن الكاتب يربط بين مشكلات الطفل وأدب الطفل، وكل المعضلات الإنسانية وبين النظام الاجتماعي، وهذا صحيح، لكن النظام الاجتماعي ليس هو الشيوعية أو الاشتراكية أو العلمانية. إنه الإسلام الذي يمثل المنهج الشامل للإنسانية.

(٢) المصدر السابق/ ٩٦، ولقد كان الانهيار المريع للعالم الشيوعي في مجال النظرية والتطبيق أكبر رد على مثل هذه الدعوات، فضلاً عما حملته تجربة الشيوعية من فضائح مخزية وممارسات يأباها الحيوان، وها هي ذي الشعوب التي=

والمؤلف لا يذكر ـ هنا ـ الإسلام خاصة ـ أو الدين عامة بشيء ولكنه يكنّي عن ذلك بمثل العبارات السابقة، ويرفع هذه الشعارات البراقة «الاشتراكية، والثورة، ومحو الاستغلال. إلخ» لكي يغري الناس بها. ولكن الواقع وحده هدم كل هذه الدعوات، هدمها بمعاول التطبيق العملي في جميع بلدان العالم، وفي البلدان العربية التي حصدت منها الفقر والجوع، والنزاعات الطائفية والإقليمية والنكسات، وخسارة الأرض والكرامة، وذهاب الأخلاق والحريات، فأي خير يُرجى من وراء هذه المضامين للأجيال القادمة؟

ومن المهم أن ينهض المختصون المخلصون بدراسة المضامين الخاصة بأدب الأطفال، والأهداف التي ينبغي أن تهدف إليها على أسس إسلامية واضحة حتى لا تتوزع الجهود أولاً، ثم تضيع الخطوات وتتعدد الرؤى أو تتضارب بلا معرفة أخيراً.

«إن ثقافة الأطفال هي ـ أساساً ـ نظرة إلى العصر، ونظرة إلى تراثنا، ونظرة إلى الطفل نفسه، وكل إنتاج في هذا المجال لا يحترم قيم هذا العصر وتوقه إلى الحرية. وكل أدب لا يستقي من تراثنا ومما هو حي فينا من هذا التراث، وكل إنتاج لا يعكس في روحه أحاسيس الطفل ولا يحترم قدراته على الفهم والتمييز والخيال ليس هو بالإنتاج الذي يستحق أن ينتمي إلى ثقافة الأطفال التي تطلبها بلادنا..»[1].

وهذا يعكس الأهمية الخاصة بثقافة الأطفال ومضامين أدب الطفل وشمولها على عناصر أساسية تحقق الخير لأبناء المستقبل وتسهم في إعداد الأجيال إعداداً صالحاً.

إن الاهتمام بأهداف هذا الأدب ومضامينه، ضرورة واجبة حتى نسهم

= رزحت تحت ظل هذه المبادىء تفضح هذه الممارسات المروعة.

(١) الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال/ ٦، النادي الثقافي العربي وثقافة الأطفال، أسبوع ثقافة الأطفال ١٩٧٨ م.

في بناء جيل مؤمن بالله، أمين على قيمه وتاريخه وحاضره ومستقبله. جيل يتحمل المسؤولية غداً، ويبني المستقبل على أسس متينة صحيحة، ويتخلص من آثار الهزائم المتوالية للمسلمين في القرن الحالي.

obeikandl.com

أهداف أدب الطفل

سأحاول في الصفحات القادمة تحديد بعض الأهداف المهمة لأدب الأطفال على ضوء التصور الإسلامي، مجملاً الحديث في بعضها، ومفصلاً بعض الشيء في بعضها الآخر.. ويمكن تحديد هذه الأهداف بالأطر الأربعة التالية:

١ ـ الأهداف الاعتقادية.

٢ ـ الأهداف التربوية.

٣ ـ الأهداف التعليمية.

٤ ـ الأهداف الجمالية.

obeikandl.com

أولاً: الأهداف الاعتقادية

كل عمل من أعمال الإنسان مرتبط بما يؤمن به ويعتقده، أيّاً كانت طبيعة الاعتقاد ونوع الإيمان. فسواء أكانت عقيدة أرضية وثنية، خرافية أسطورية، أم كانت عقيدة ربانية إلٰهية موحدة.

وكل المذاهب الأدبية، والمدارس الفنية، والاتجاهات الفكرية تستند إلى عقيدة من العقائد. وفي الغرب لا يتوارى الناس في هذا، بل يصرِّحون بما يعتقدون، ويتناولون كل الأمور بحرية وصراحة ووضوح، يقولون عن الدين ما يريدون، ويتحدثون عن النشاطات الفكرية والأدبية بما يعتقدون.

أما عند المسلمين فالأمر يختلف، يأخذون من نتاج الغربيين، ويقتدون بمذاهبهم الأدبية، ويتبنون مدارسهم الفنية، بل والفكرية أحياناً، ويدَّعون أن ذلك بعيد عن المعتقدات والدين، والشرع الذي يؤمنون به، وأن الذي يأخذونه لا يتعارض مع دينهم وعقيدتهم!!

وقد يكون بعض الناس يجهلون الحقيقة، لأنهم يجهلون دينهم حقاً وهم يظنون أنهم يعرفونه. ويجهلون أنه منهج حياة، ويظنون أنه صورة من صور الأديان التي عرفها الغرب ونبذها وثار عليها والتي تمثلت بالكنيسة، أو اليهودية المحرّفة التي تحكم العالم من وراء ستار.

ولذلك يردِّدون مقولات الغربيين عامة ـ والفلاسفة والمفكرين خاصة ـ عن الدين، ويرون أنه علاقة بين العبد وربه، علاقة خاصة يحكم أموراً روحية لا علاقة لها بالحياة والنشاط البشري.

ويعجبون حين يتحدث الناس عن رأي الإسلام في الأدب، والتربية والاقتصاد والفنون والسياسة، وعلاقة الأمم ببعضها. نعم الجهل بحقيقة الإسلام يحمل بعض الناس على كل هذه المواقف، لأن معرفتهم بالإسلام معرفة تقليد. ودراستهم له تعتمد على دراسة ما كتبه المستشرقون والفلاسفة عنه.

ثم قد تأخذهم العزة بالإثم، أو العصبية للألقاب الكبيرة، فيرفضون أن يعودوا لدراسة الإسلام من جديد. لأن هذا ـ في اعتقادهم ـ شأن الطلبة الصغار، أما هم فقد حازوا على الألقاب العلمية التي تعني أنهم عرفوا الحق، واستحوذوا على الفكر، وتملكوا ناصية العلم والمعرفة. ولا غرابة أن يمضي أحدهم سنوات عديدة ليترجم كتاباً عن الطفولة لأحد الفلاسفة أو علماء النفس الغربيين، ويأبى أن يعود إلى تراثه الذي كُتب بلغته ليقرأ ما كتبه العلماء عن الأطفال، لأن ذاك يمثل ـ في رأيه ـ التقدم والفكر، والعلم. وهذا يمثل الكتب الصفراء، والأفكار الرجعية والنظرات الضيِّقة القديمة.

وهناك فئة لا تجهل الحقيقة، بل اتخذت من فلسفات الغرب مذهباً وعقيدة! تصرِّح بذلك حيناً، وتتوارى خلف العناوين واللافتات البراقة حيناً آخر. ولكنها لا توفر الفرصة ـ حين تتهيأ لها ـ للنيل من الدين، وبطرق شتى، تلصق به كل صفات التأخر، والجمود والعصبية، و... وشتى النعوت المنقصة منه.

من هذا نرى أن كل نشاط بشري، فكري أو فني، أو علمي أو عملي يستند إلى عقيدة ما. ولذلك وجب علينا أن نحدد هدفنا بوضوح من أدب الطفل، لأهميته، ولخطورة النتائج المترتبة عليه.

ولأننا لا نريد أن يكون الطفل ـ أي طفل ـ تتوزعه شتى الاتجاهات والولاءات والمشاعر، حتى يغدو سبباً في جهل الأمة أو خراب مستقبلها، لا قدر الله.

بل نريده طفلاً مسلماً، أي طفلاً متحرراً من كل القيود الأرضية التي تحد من نموه وانطلاقه، وتحد من إبداعه ونشاطه.

نريده طفلاً مسلماً واسع النظرة، واضح الأهداف، يعرف سبيله الممتد منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم وحتى يعود الناس إلى رب العباد.

نريده طفلاً يجوب الكون بنظرته، طموحاً، متوازناً، يرتاد الآفاق بثقة وطموح وطمأنينة.

ولذلك لا بد من توضيح الهدف العقدي في أدب الأطفال.

ولا يعني ذلك تحويل الأدب إلى درس من دروس العقيدة، وإنما يعني وضوح الهدف عند الأديب لكي تصب الصور الأدبية المختلفة، في نقطة بعيدة. أو تتصل بمنبع التوحيد الذي يحرر الطفل من كل العبوديات ويربطه بالخالق عن طريق التفكير الحر المبدع، التفكير الذي يسمع همسات الكون، وحفيف الأشجار، ووشوشات الضياء وهي تسبّح للخالق الواحد عز وجل.

والأمر ليس للمسلمين خيار فيه، لأنه تكليف من الله عز وجل، ومسؤولية أمام رب العالمين: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾**[1] وهل ينفع شيء مع الشرك أو فساد العقيدة؟

يقول رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه»[2] ويقول أيضاً «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته..»[3].

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.

(٢) البخاري في كتاب التفسير (سورة الروم) وللحديث بقية.

(٣) جزء من حديث، متفق عليه.

ولبناء العقيدة في نفس الطفل عدة أركان وهي:

١ ـ تلقين الطفل كلمة التوحيد:

ولهذا أثره النفسي العميق عند الطفل في سنواته الأولى، والأبحاث الحديثة دلت على ذلك، مما دعا بعض علماء التربية والنفس الغربيين للبدء في تعليم الأطفال منذ ولادتهم[١] وتلقين الطفل كلمة التوحيد منذ الولادة من سنن الإسلام. فلقد روي أن النبي ﷺ «قد أذَّن في أذن الحسن بن علي اليمنى يوم ولد، وأقام في اليسرى»[٢]. ويقول عليه الصلاة والسلام: «افتحوا على صبيانكم أول كلمة لا إله إلا الله، ولقنوهم عند الموت لا إله إلا الله»[٣].

وروى عبد الرزاق: أنهم كانوا يستحبون أول ما يفصح أن يعلموه لا إله إلا الله سبع مرات فيكون ذلك أول ما يتكلم به.

ولقد مر ما قاله الإمام الغزالي في هذا الشأن[٤] من ضرورة تقديم العقيدة للمولود في أول نشوئه ليحفظه حفظاً، ثم بيَّن الطريق لترسيخ العقيدة فقال: «وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يُعلَّم صنعة الجدل والكلام، بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره، وقراءة الحديث ومعانيه، ويشتغل بوظائف العبادات، فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخاً بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه، وبما يَرِدُ عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها، وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها»[٥].

---

(١) أشارت بعض الدراسات إلى فائدة تلقين الطفل منذ السنة الأولى لبعض العبارات ومحاولة تعليمه للقراءة والفهم.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وقالا: حديث صحيح. وروى مثله البيهقي في شعب الإيمان، وانظر إلى ما قاله ابن القيم عن سر التأذين في فقرة (الإسلام وتربية الطفل) ص/ ٢٤ في المخطوط.

(٣) تحفة المودود/ ١٦.

(٤) انظر: الإسلام وتربية الطفل، في هذا الكتاب.

(٥) إحياء علوم الدين ١/ ٩٤.

وعلى الأدب الإسلامي الاستفادة من هذا في تقديم ما يناسب الطفل في صورة من الصور الأدبية، وفي كل جنس من الأجناس الأدبية المختلفة. فالعقيدة وتوضيحها، وترسيخها بالطريقة المناسبة من أهم الأهداف التي ينبغي أن تكون واضحة لدى الأديب المسلم فيما يكتبه للطفل المسلم.

٢ ـ ترسيخ حب الله تعالى في نفس الطفل:

وهذا الهدف مكمل وتابع للهدف الأول، ولكنه أيضاً ضروري لأنه يؤثر في توجيه عواطف الطفل وتكوين مشاعره ووجدانه. وللوصول إلى هذا الهدف نحتاج إلى بعض السلوك العملي من المربين إضافة لما يقدمه الأدب، ويحتاج إلى دربة طويلة وعناية فائقة من المهتمين بالطفل، لكي يتفتح وعي الطفل شيئاً فشيئاً وهو يرى ويسمع ويحس برعاية الله عز وجل للخلق عامة ـ ولهذا الطفل خاصة ـ ومن خلال الحكاية والقصة والنشيد والحوارية والمقالة والعرض الأدبي للموضوعات العلمية التطبيقية. من خلال ذلك يمكن للأديب أن يسهم في تحقيق هذا الهدف، ويدفع الطفل للربط بين نعم الله عز وجل وآلائه الكثيرة، وبين الخالق القدير الرحيم. إنه يستطيع أن يفتح للطفل النوافذ شيئاً فشيئاً ليرى أن الخير كل الخير من الله رب العالمين، وأن الإنسان مخلوق عاجز ضعيف أمام الله، وبغير هذه النعم وهذه الآلاء لا يستطيع أن يفعل شيئاً، وإن أبسط الأشياء وأكبرها تساعد الأديب على مثل هذا. وإن كل ما يألفه الطفل يمكن أن يتحول بأسلوب الأديب وإبداعه إلى نشيد جميل يفتح له مثل هذه النوافذ، أو إلى قصة تساعد على ترسيخ محبة الله عز وجل وغرسها في أعماقه، ومزجها بكل كيانه ووجدانه، وإن عمل الأديب لربط الطفل بكتاب الله عز وجل: بقراءته، وشرحه، وعرض صور مما فيه، وتبسيط هذه الصور، والقصص والعبر والأحكام للطفل، إن كل ذلك يسهم في تحقيق هذا الهدف أيضاً.

وفي عرض قصص الأنبياء كما وردت في كتاب الله، وسرد حكايات

الأبرار والصالحين على مسامع الأطفال، وربط هذه الحكايات وما تؤدي إليه من نجاح أو فشل، وما تحمله من شفافية وجمال وعبر بالرب الرحيم تزيد من جلاء هذا الهدف. وإن شرح نواميس الكون التي تجري مقادير الأمور على سننها، وينشط الإنسان ويسعى في إطارها، إن كل ذلك سوف يزيد من حب الطفل لربه الذي أبدع هذا الكون ورعاه بحكمته وقدرته ورحمته.

إن كل هذه الأمور حين يتناولها الأدب بصورة مناسبة، يرسخ في أعماق الطفل ذلك الوجدان الحي الذي ينبض بحب الخالق العظيم، لأن الدين وجدان وعمل، قبل أن يكون مناسك وشعائر.

٣ ـ ترسيخ حب النبي ﷺ:

وهذا أمر يستتبع ما سبق، لأن معرفة الطفل لربه يعني تصديقه وطاعته، ومن ذلك إيمانه برسالة النبي الخاتم، وبشريعته العظيمة، فضلاً عن محبته، وطاعته، والاقتداء به في كل شؤون الحياة لأنه المنار الأعلى الذي اختاره الله للبشرية، والقدوة المثلى الذي تجلت به هذه الرسالة الإنسانية. وحين يتحقق حب النبي ﷺ، يصبح الاقتداء أمراً سهلاً.

وفي عرض السيرة العطرة بصدقها، وواقعيتها، وحيويتها سوف يغرس في نفس الأطفال تلك المحبة.

ولكن هذا العرض يحتاج إلى الطريقة المناسبة للطفل، والأسلوب المشوق الذي يفتح لديه القلب والعقل معاً، بعيداً عن السرد التاريخي البارد، أو الرواية التي لا تصلح إلا لدارسي التاريخ. وكذلك فإن عرض أحاديثه ﷺ وسنته وأعماله بالتصوير الموحي، والأسلوب الواضح سيسهم في غرس الإكبار والمحبة لرسول الله ﷺ في نفس الطفل.

وإن ذلك كله يحتاج إلى المقدرة الحقيقية في عرض ذلك بأسلوب يتلاءم مع قدرات الطفل، ويثير اهتمامه وشوقه، ويدفعه إلى مزيد من القراءة والاطلاع.

٤ ـ تعليم الطفل القرآن الكريم:

وإنه لأمر مهم أن يتعلم الطفل القرآن الكريم: قراءة وفهماً منذ السنوات المبكرة، وإنه لأمر ميسور، أثبتته التجربة والواقع، وفي ذلك تتحقق أهداف كثيرة، وتزداد خبرة الطفل، وتنمو مهارته ومواهبه وترق مشاعره، وتصفو نفسه، ويكتسب ذلك الحس الجمالي الصافي فيتذوق الكلمة الجميلة، ويستعذب الصورة الطيبة، ويتمثل المعنى اللطيف، ويتقبل الأمر الخيّر، وينفر من القبح والشر، ويأبى الفساد، ويعاف المنكر.

والصور كثيرة لتحقيق هذا الهدف، وأدب الطفل يملك أن يختار طرقاً كثيرة لجعل القرآن الكريم من أهم فقراته وألوانه، ليكون مناراً لوعي الطفل، وروحاً لحياته.

وإنه من المعلوم أن أعداء الإسلام يحاولون بشتى السبل إبعاد الطفل والناشىء عن كتاب الله عز وجل، بدعاوى وحجج كثيرة، منها: الصعوبة في الحفظ، أو الصعوبة في الفهم، ومنها الحذر من وقوع الطفل تحت تأثير الصور المخيفة والصور المرعبة... إلخ.

وإن الواقع يكذب هذه الدعاوى، فأطفال المسلمين يحفظون كتاب الله ويتقنون تلاوته منذ نزوله، ويتعرفون على معانيه في سني الطفولة المبكرة ويزيدهم هذا وعياً، ونضرة، ونضجاً، بل يدفعهم ذلك إلى آفاق من المعرفة، ورحاب الإيمان الذي لا يعرفه غيرهم.

بل إن كثيراً من غير المسلمين استفادوا من حفظ الآيات القرآنية مثل الشاعر بشارة الخوري، وبدوي الجبل.

وكذلك تكذبهم الصور الكثيرة التي عرفها أدب الطفل في أوروبا التي حفلت بالقصص، والحكايات الخيالية، والمغامرات المخيفة.. والنصوص الصعبة، ومع ذلك لم تظهر مخاوف هؤلاء من ذلك الخيال المرعب، ولم يروا في ذلك خطراً على الأطفال ومستقبل الأطفال.

ولقد فطن أجدادنا إلى أهمية القرآن الكريم بالنسبة للطفل، لذلك جعلوه نقطة البداية وأساس التعليم في مختلف البلدان الإسلامية[1] لأن ذلك سيؤدي إلى رسوخ الإيمان، ونضوج الوعي، وتقويم اللسان، وتهذيب النفس، وتربية الروح والوجدان. ولقد كان أهل المغرب يقتصرون على تعليم أطفالهم القرآن الكريم ويدارسونهم كتاب الله، ويعلمونهم رسمه وقراءاته المختلفة، ولا يخلطون أثناء ذلك بين تعليم القرآن والحديث أو غير ذلك، فإذا حذق الطفل تعلم القرآن بدؤوا بغيره.

وكان أهل الأندلس والعراق يعلمون أطفالهم القرآن الكريم، مع تعليم الأساسيات من علوم الدين الأخرى.

ويعكس منهج القابسي صورة واضحة عند الشعوب الإسلامية في القرن الرابع الهجري وما بعده لمرحلة تعليم الصبية، والذي ينقسم إلى قسمين:

١ ـ المنهج الإجباري، ومن مقرراته: القرآن الكريم، والصلاة والدعاء، وبعض النحو والعربية والقراءة والكتابة.

٢ ـ المنهج الاختياري، ومن مقرراته: الحساب، والعربية والشعر وأخبار العرب.

والربط في هذا المنهج بين تعليم القرآن الكريم والصلاة والدعاء أمر مهم؛ لأنه ربط بين الفكر والوجدان والنزوع، وبين الاعتقاد والعمل والتطبيق[2].

---

(١) ولقد شاهدت خلال زياراتي للهند وتركيا أثر كتاب الله عز وجل في أطفال المسلمين، حيث إن حفظ هؤلاء الأطفال لكتاب الله أو لأجزاء منه جعلهم يتقنون العربية، ويتفوقون في كثير من العلوم الأخرى، ويزدادون وعياً وثقة وطمأنينة.

(٢) وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال/ ٢٧.

ولقد كان منهاج الدراسة في عهد الراشدين يضم القرآن الكريم ومبادىء الدين الحنيف، والقراءة والكتابة والشعر. ثم بعض الأمور التي يحتاجها الطفل في حياته، مع الحرص على التدرج وتجنب ما ينفره من التعليم[1].

وكان ابن سينا يرى ضرورة البدء بتعليم القرآن بمجرد تهيؤ الطفل للتلقين عقلياً وجسمياً، مع تعلم حروف الهجاء، ثم رواية الشعر.

وأما الغزالي فيرى أن تقوم تربية الطفل على دراسة القرآن الكريم، والأحاديث الشريفة، والأخبار، وحفظ الشعر[2].

لقد ربى كتاب الله جيلاً يندر أن يجود الزمان بمثله، هو جيل الصحابة، وأخرج أمة من العدم لتكون خير أمة أخرجت للناس، فكيف لا يكون الهدف الأسمى، والمعين الأنقى للأدب الإسلامي؟ وللأديب أن يجرب ويبحث عن الأساليب التي تتناسب مع أعمار الأطفال لكي يصل بينهم وبين كتاب الله عز وجل، ولكي يفتح لهم منافذ الفهم، والوعي، ويكشف لهم أسرار الجمال والإبداع في كتاب الله عز وجل، ويضع أمامهم صوراً حية رائعة من كتاب الله.

وإذا كانت القصة ـ على سبيل المثال ـ من الألوان الأدبية المحببة للأطفال، فإن في كتاب الله عز وجل أروع الصور، وأجمل القصص، وأبلغ الأحداث، وهو يمد الأدب الإسلامي للكبار والصغار بمصدر عظيم ثري للقصص المتنوع، والموضوعات المختلفة، وهذه القصص يظل الهدف فيها واضحاً، وتكون الأحداث حية متحركة مثيرة، وتبدو الحركة ذات أبعاد كثيرة.

ونذكر على سبيل المثال بعض هذه القصص:

---

(١) التربية والتعليم في الإسلام/ ١٨، ٢٤.
(٢) وحدة لتنمية الشعور الديني.

«قصة آدم مع إبليس».

«قصة موسى عليه السلام مع اليهود».

«قصة داود عليه السلام وطالوت وجالوت».

«قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام».

«قصة موسى عليه السلام وفرعون، وقصة أم موسى مع امرأة فرعون ومع موسى».

«قصة سليمان وداود عليهما السلام».

قصة أيوب، وشعيب، وزكريا، ولوط.. عليهم السلام».

«قصة يوسف عليه السلام وإخوته».

«قصة زكريا ويحيى، وقصة زكريا ومريم».

«قصة عيسى ومريم عليهما السلام».

«قصة لقمان عليه السلام».

«قصة صاحب الجنتين».

«قصة أصحاب الفيل».

وقصص أخرى قصيرة وطويلة ذات ألوان وأشكال متنوعة، تعرض نماذج مختلفة من البشر، وتجارب عديدة من تجارب الإنسانية، وكلها تساعد الطفل المسلم على تعلُّم كتاب الله عز وجل، وتغرس في أعماقه روحانية هذا الكتاب الكريم، وترسخ لديه معاني الإيمان الواعي.

٥ ـ تنمية قدرات الطفل وتفتيح وعيه لثباته على العقيدة واستعداده للتضحية من أجلها:

وتحقيق هذا الهدف من الأمور المهمة ليغدو أمر العقيدة فوق المنفعة والمصلحة وأعمق من شتى العواطف والوشائج والمنافع.

obeikandl.com

والأدب الإسلامي يسهم في ذلك بالقصة، والعرض المؤثر، وبتصوير الحياة الإسلامية العملية التي يحتاجها الطفل في حياته. ومصادر هذا كثيرة جداً، من كتاب الله وسنة رسوله، ومن السيرة والتاريخ، والتجربة العملية، والوقائع اليومية.

وإن الأديب الذي يستشعر أهمية المسؤولية وعظم الأمانة الملقاة على عاتقه في هذا يسلك السبل، ويبحث عن الوسائل التي تحقق له هذه الأهداف، لأنه يدرك أن ذلك سيصب في الطريق لتربية الطفولة الإسلامية، على هدى من الله وبصيرة. وهل أهم من ذلك من غايات جلى؟[1].

٦ ـ ومن الأمور الملحقة بالهدف العقيدي، بيان حقيقة الإنسان

---

(١) لقد أشار الدكتور نجيب الكيلاني إلى وظيفة أدب الأطفال من خلال العناصر التالية:

١ ـ تشكيل الوجدان المسلم
٢ ـ صَبْغ الفكر بالمنهج الإسلامي.
٣ ـ طبع السلوك بالطابع الإسلامي
٤ ـ حب العلم باعتباره فريضة
٥ ـ تحديد مفهوم السعادة
٦ ـ تنمية ملكة الخيال عند الأطفال.
٧ ـ إيجاد التوازن النفسي
٨ ـ ترسيخ العقيدة.
٩ ـ فهم الحياة
١٠ ـ بعث مشاعر الوحدة الإسلامية.
١١ ـ توضيح مفهوم الحب
١٢ ـ إثراء الحصيلة اللغوية.
١٣ ـ تنمية الإحساس بالجمال
١٤ ـ الحفاظ على حالة التوتر الصحية.
١٥ ـ توضيح مكانة المرأة المسلمة (أدب الأطفال في ضوء الإسلام) د/ نجيب الكيلاني ١٠٥.

ولكن يلاحظ أن هناك أهدافاً تدخل في جزئيات أهداف أخرى، وأن هناك بعض التكرار. وحيث أن أدب الطفل وسيلة مهمة من وسائل التربية في العصر الحديث، لأنه يساعد على تشكيل شخصية الطفل: عقدياً وفكرياً وسلوكياً ونفسياً، لذلك نرى أن يكون الحديث عن أهداف أدب الطفل مرتبطاً بالمنطلق العقدي الواضح الذي يعتمد على الأصول الإسلامية، ويتعمق في قضية العقيدة، ويؤكد على قضية التربية بدلاً من بعض العموميات. والعناصر التي أشار إليها الدكتور الكيلاني مشتركة بين أدب الكبار والصغار.

ومكانته في هذا الكون، وعلاقته بربه، وعلاقته بالكون من حوله وعلاقته بأخيه الإنسان:

لأن توضيح ذلك للطفل سينعكس على تفكيره، وسلوكه ونشاطه.... حتى لا تؤثر عليه الفلسفات الأخرى فتخدعه وترديه، وتبعده عن طريق الإسلام، فتجعل منه مخلوقاً آلياً، عبداً للمادة، وتطورات المادة في صورها المختلفة..

ومهم أيضاً أن يعلم حقيقة العبودية.. وأنها مكانة عظيمة يرقى إليها الإنسان بالطاعة، فالعبودية لله عز وجل خضوع والتزام بما أمر به الله عز وجل، وهي في ذات الوقت سمو، لأنها نسبة إلى الخالق العظيم القدير، وارتقاء فوق الضرورات والماديات والجواذب والموانع المختلفة للارتباط برب السماوات والأرض، وهي أيضاً تكريم، لأنها تطهِّر الإنسان من الأدران، والأوشاب، وتزيِّنه بالعقل والتفكير والإرادة، وتسخر له الجمادات والحيوانات، ليعيش خليفة في الأرض أميناً على شرع الله، ومسؤولاً عن سيرورة الحياة على سنن الله الأزلية.

إن مثل هذه الخطوط التي نوضحها للطفل، تجعل منه إنساناً قوياً رحيماً، حر الإرادة والتفكير، متواضعاً، شجاعاً مغواراً مطمئناً، لا تأسره الأنانية أو العواطف الخاصة ولا تمنعه من رؤية العلاقات والاجتماعات رؤية عملية متواشجة. ولا يقع في حمأة المطالب والشهوات التي لا تشبع، وينسى الواجب والآخرين. فهو طفل يعلم أنه في مجموع، وصغير يدرك أنه سيكبر، يعلب ولكنه أيضاً يتعاطف مع غيره. يطلب ولكنه لا ينسى أن ذلك مرهون برضى الآخرين ومحبتهم، فهو متوازن، ينشأ بلا اندفاعات، ولا تشنجات، يأنس بالآخرين، ويحب الأرحام، ويحترم الكبار، ولا ينسى أنه صغير.

ويحافظ على الآداب والسلوك الإسلامي، ويتدرب شيئاً فشيئاً على حب الواجب، والمسؤولية.

والأديب المسلم أكثر الناس قدرة على تصوير ذلك للطفل، وإمداده بالنماذج المؤثرة التي تريه هذه المعاني في صورة حية متفاعلة، ولكن ذلك لا يتحقق إن لم تكن مثل هذه الصورة واضحة في أذهان الأدباء أنفسهم؛ بعد أن طغت علينا صورة الطفل الغربي، وسبل التربية الغربية، حتى غدا الاختلاف مع هذه التربية نوعاً من الشذوذ الذي يثور عليه المتأثرون بالغرب، ويشنّون عليه حرباً شعواء، ويدَّعون أنه لا يناسب الطفل. وإن الأديب المسلم بحاجة إلى دراسة النماذج التاريخية التي حفظت لنا صوراً من التربية، وإلى النصوص الصحيحة التي توضح لنا خطوط التربية الإسلامية، ليعرف الأسس التي ينبغي أن تبنى عليها العقيدة والوسائل الكفيلة بتحقيقها، والخطوط التي ينبغي أن نحرص عليها في هذه التربية.

وقبل أن نختم هذا الفصل نتوقف قليلاً عند مفهوم العقيدة وطريقة غرسها في نفوس الأطفال عند بعض الكتاب.

فهم لا ينكرون العقيدة من حيث المبدأ، ولا ينكرون مسؤولية أدب الأطفال أو دوره في ذلك؛ ولكنهم في الوقت ذاته لا يفرقون بين عقيدة وأخرى، ويريدون أن ينشأ الأطفال على الاعتقاد بأن الأديان متساوية يختلف فيها الناس كاختلافهم في جنسياتهم ولغاتهم[1].

وهذا الكلام في ظاهره مقبول، ولكنه ينطوي على مغالطة كبيرة. فالأديان ليست سواء، والإسلام هو دين البشرية الذي رضيه الله لعباده ونسخ به جميع الأديان، وفي تعاليمه ما يربي الطفل على التسامح وعدم التعصب أو الكره، ولكنه لا يجوز أن تخفى الحقائق على الطفل ويجهل أن الإسلام هو الدين الصحيح، وأن التحريف والباطل دخلا إلى كل الأديان لأن ذلك مما ينبغي الإيمان به، وغير هذا انحراف وتزييف وبطلان.

---

(١) في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ١٠٤ وما بعدها.

والأمر الآخر: ينكر بعض الباحثين قدرة الطفل على فهم المعنويات ـ كما يصفون العقيدة ـ في المراحل المبكرة، وأن أدب الأطفال الذي يدور حول المعنويات الدينية في السن المبكرة ضرره أكبر من نفعه، وحجتهم في ذلك أن الطفل يرسم صورة مخيفة للإله[1].

ولكن هذه الحجج غير واردة لأن الإسلام علّم الإنسان كيف يربي الأطفال بما يناسبهم، وكيف يغرس أمور العقيدة في نفوسهم عن طريق القدوة الحسنة، والتوجيه المناسب، وربط الأمور التي تحيط بالطفل وتتناسب معه بمسبباتها برفق وأناة، دون أن نخفي عن الطفل حقيقة الاعتقاد، ودون أن نخشى ما يسمونه بالعقد والمخاوف.

ولقد أثبتت التجارب أن الأطفال الذين ينشؤون في بيئة إسلامية صحيحة[2]، هم الذين يكونون قادرين على التكيف والعطاء والإبداع، وهم الذين يكبرون وهم أكثر طمأنينة واتزاناً، لأن هؤلاء الأطفال لم يصلوا إلى فهم العقيدة بالاستدلال المنطقي أو بفحص الوقائع التي ترد إليهم عن طريق الحواس، وإنما وصلوا إليها بِتَمَثُّلِ هذه العقيدة فيما يتمثلون من أفكار وأحكام ومشاعر عن طريق الوالدين والأهل والعشيرة، ولا شك أن الطفل يمتصُّ كثيراً من مشاعر الوالدين نحو الأشياء والأشخاص؛ فيشعر نحوهم بنفس الشعور، وما يسري على خبرات الطفل عامة يسري أيضاً على جميع خبراته الدينية.

فالمصدر الأول لها هو الوالدان، وأساليب تنشئتهما للطفل «فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» واختيار ما يقرأ أو يسمع أو يرى من الأدب المكتوب للطفل من مسؤولية الوالدين أيضاً. ولكن تحقيق هذا الجانب مما يكتب من مسؤولية الأدباء أيضاً.

---

(١) المصدر السابق/ ١٠٥ .

(٢) أعني البيئة الإسلامية الصحيحة التي تحتكم إلى منهج الإسلام في كل شيء وليست البيئة التقليدية التي يختلط فيها الإسلام بغيره، وتكتفي بالشعائر والكلمات.

وتعد عاطفة التدين في الطفولة المبكرة مظهراً من مظاهر الخلق عند الأطفال، والخلق نظام ينمو شيئاً فشيئاً بتفاعل النفس البشرية مع الحياة المحيطة بها، ومن الخطأ أن نظن أن غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الناشئة يتم بتلقينها المادة المعروفة بدروس الدين (التوحيد)، إنما العقيدة إطار حياة يحيط بكل جانب من جوانب التربية: من علم وعمل ومعاملة، لتوفر الاستعداد لها، ولتوفر الأسس المركوزة داخل الفطرة في عقل الإنسان. فالعقيدة تنبع من أعماقنا الوجدانية التي رسخت منذ أيام الطفولة، وما اكتنفها من أحداث[1]، ولذلك فإن سماع قصص الأنبياء، والصالحين، والأبطال، والعلماء، مع العيش وسط بيئة مستقيمة يمد الطفل بقسط كبير من فهمه للعقيدة بطريقة غير مباشرة.

وكذلك مشاهدة الصلوات وسماع الأذان؛ ومظاهر الاهتمام بالمشاعر والشعائر الإسلامية يزيد من ذلك، ومنذ أن يستيقظ عقل الطفل يريد أن يكشف سر وجود الكائنات وكنهها حوله فيبدأ بالسؤال عن الجبال والبحار والنبات، عن الطعام والشراب والمناسبات، حتى يجد الدين وسيلته إلى قلوب الأطفال عن هذا الطريق أكثر من الطرق المباشرة. ولأدب الأطفال مجال رحب في كل هذا لأنه الوسيلة التي تستطيع الوصول إلى قلوب الأطفال وعقولهم بطرق غير مباشرة.

ومن الأمثلة التي يمكن أن يحققها:

١ ـ إيقاظ إحساس الأطفال بقدرة الله عز وجل خالق الكون وذلك عن طريق تشجيع ميلهم التلقائي إلى استطلاع عجائب الكون التي تدل على عظمته وبديع خلقه.

٢ ـ إتاحة الفرصة للاستمتاع بمشاهدات الطبيعة ومخلوقات الله عز وجل التي تملأ قلوبهم إيماناً بالله خالق الجمال والكون.

---

(١) وحدة تنمية التفكير الديني/ ٥٤.

٣ ـ غرس الفضائل الإنسانية كمساعدة الفقراء واستثارة عواطف التعاون والتراحم نحو الفقراء والضعفاء وربط ذلك بمصدر الخلق، وبالثواب عند الله عز وجل.

٤ ـ تعويدهم على العادات العملية عن طريق التصوير الحي بالقصة وغيرها لتطبيق أثر العقيدة في النفوس، وتحويل القيم الإسلامية إلى أعمال ومشاريع يتعاون عليها الأطفال مع بعضهم[١].

● ● ●

ثانياً: الأهداف التربوية:

هذه الأهداف مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالأهداف السابقة. وكنت قد جعلتهما شيئاً واحداً، في أصل هذا البحث[٢]، ولكنني رأيت أن إفراد الجانب العقدي بفقرة خاصة أفضل، لأهمية هذا الجانب ولتأثيره على حياة الإنسان ومستقبله.

والجانب التربوي يقوم في الأصل على المسؤولية المنوطة بالوالدين والمربين، وكل مسؤول عن جانب من جوانب الطفولة. فإذا كانت المسؤولية في القديم محصورة ـ إلى حد كبير ـ بالوالدين، فإنها اليوم تشمل عدداً أكبر من الناس، مع بقاء المسؤولية الأولى والأهم للوالدين، فالمدرسة بما فيها من إدارة ومدرسين، ووسائل الإعلام المختلفة ولا سيما الرائي[٣]، لما له من أثر كبير على الناشئة عامة والطفل خاصة[٤] فضلاً

---

(١) المصدر السابق/ ٦٥.

(٢) لقد كان أصل هذا الكتاب بحثاً تقدمت به إلى الندوة التي عقدتها رابطة الأدب الإسلامي عن أدب الطفل المسلم، التي عقدت في مدينة استانبول بتركيا في المحرم من عام ١٤١٠ هـ.

(٣) الرائي، أو التلفاز.. ولكن التسمية الأولى أقرب للعربية وهي تسمية أطلقها أستاذنا فضيلة الشيخ الأديب علي الطنطاوي.

(٤) انظر مثلاً كتاب: برامج الأطفال التلفزيونية: د/ عاطف عدلي العبد، دار الفكر العربي، القاهرة وفيه كثير من البيانات الإحصائية التي تظهر أثر هذا الجهاز=

عن الجريدة والمجلة والإذاعة، والبيئة الاجتماعية، والنادي، والحديقة...

وكذلك المجتمع عامة مسؤول بما فيه من عادات، وشعارات، ونشاطات كلها ذات تأثير على الطفل، لأن الشارع والحديقة، والمتجر، والمنتزه، كل هذه الأماكن تعكس ما في المجتمع من قيم وعادات وأفكار، وكلها تترك أثرها على الطفل.

والمسؤولية تقوم على نصوص وردت في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ:

يقول الله سبحانه وتعالى في ذلك **﴿يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾**[1]، **﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾**[2].

والوصية عامة، وإن كان مضمون الآية فيما بعد عن الإرث، **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾**[3]، **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم﴾**[4]، **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم﴾**[5]، والفتنة تقتضي الاهتمام والمسؤولية لنيل الأجر العظيم.

فضلاً عن النصوص التي وردت في معرض الحديث عن حضانة

= على الأطفال، وكذلك كتاب: الإعلام المرئي الموجه للطفل العربي: د/ عاطف عدلي العبد، وكتاب: بصمات على ولدي: تأليف طيبة اليحيى، وفيه تركيز على الآثار السلبية التي تنعكس على الأطفال من مشاهدة التلفزيون.

(١) سورة التحريم: الآية ٦.
(٢) سورة النساء: الآية ١١٠.
(٣) سورة الأنعام: الآية ١٥١.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٣.
(٥) سورة التغابن: الآية ١٥.

الطفل والعطف عليه وكفالته، وتأديبه وتعليمه، والحفاظ على حياته وأمواله[1].

يقول الرسول صلوات الله عليه وسلامه في ذلك أحاديث كثيرة منها:

«ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»، «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته..» إلى آخر الحديث، «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[2]، «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن»[3]. «من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو» وضم أصابعه «كهاتين» «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كنّ له ستراً من النار»[4].

والهدف التربوي يعني أمرين مهمين: البناء، والحماية:

البناء للنفس الصغيرة، وتعهد الفطرة البريئة على أسس إسلامية صحيحة تتلاءم مع ركائز هذه النفس، ليصبح الطفل بفضل هذه التربية عبداً لله عز وجل صالحاً طائعاً يرتقي ليتشرف بهذه النسبة فيتحرر من العبودية لأي شيء سوى الله عز وجل، ويحمل الأمانة، ويتحمل المسؤولية، ويقوم بواجبه خير قيام، وينال كل حقوقه التي يحرص عليها المسلم، ويمنحها بالمحبة والتراحم، والعطف.

والحماية لهذه الفطرة البريئة من الانحراف والعبث والأخطار التي تحيط بها: من مغريات ومفاسد وانحرافات وأهواء وضلالات فكرية وسلوكية.

---

(١) انظر: جامع أحكام الصغار: للأسروشي: تحقيق عبد الحميد عبد الخالق البيزلي/ ١ ـ ١٠.

(٢) رواه ابن ماجه ٢/ ١٢١١ عن أنس.

(٣) رواه الترمذي والحاكم في المستدرك وقال السيوطي: إنه صحيح. انظر فيض القدير ٥/ ٥٠٣. عن جامع أحكام الصغار (١ ـ ١٢).

(٤) البخاري ومسلم.

خطب رسول الله ﷺ فقال في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مالٍ نحلته عبداً حلال[1]، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم[2] وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[3] عن دينهم، وحرَّمتْ عليهم ما أحللْتُ لهم، وأمرَتْهم أن يُشركوا بي ما لم أُنزِلْ به سلطاناً...»[4].

وأما في الجانب البنائي فيمكن أن نذكر أموراً مهمة في هذا الجانب:

١ ـ تكوين العقيدة وتثبيتها في نفس الطفل شيئاً فشيئاً، وقد تحدثت عن ذلك في الصفحات السابقة.

٢ ـ الحرص على غرس شعور المحبة للآخرين والتعاون معهم، والخضوع للحق في كل علاقاته وتصرفاته.

٣ ـ الحرص على تكوين الشخصية الواعية المتفتحة المتوازنة التي تبعد عن الغلو والشطط والتعصب، والانفعالات العاطفية الشديدة.

٤ ـ تربية الجانب العملي، وغرس حب العمل والإنتاج، مع الحرص

---

(١) أي قال الله تعالى ـ وفي هذا الكلام حذف ـ كل مال نحلته: أعطيته عبداً من عبادي فهو له حلال، والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم، أو حرمه عليهم الناس، وأن ذلك لم يصر حراماً بتحريمهم (انظر صحيح مسلم/ ٤ ـ ٢١٩٧) تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي رحمه الله ـ دار الفكر بيروت.

(٢) أي مسلمين، مستقيمين منيبين لقبول الهداية، (المصدر السابق، وشرح النووي لصحيح مسلم أيضاً).

(٣) أي استخفُّوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه من الهدى وجالوا معهم في الباطل.

(٤) رواه مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها /٦٣/ من عدة روايات. ولقد فصل كتاب: تربية الأولاد في الإسلام للشيخ عبد الله علوان رحمه الله، جزءان، في قضايا التربية الاجتماعية للطفل ولا سيما ما بين (٣٥٩ ـ ٤٩٨) من الجزء الأول ثم في قضايا التربية الجنسية وغيرها، ط / ٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع.

على النظام والترتيب، وعلى الإتقان والإحسان مع ربط ذلك بالخوف من الله عز وجل ومحبة رضائه.

٥ ـ تفتيق ذهنه ومواهبه لاكتشاف ما حوله، وتنمية إحساسه للبحث والتجربة.

٦ ـ إشباع حب الاستطلاع عنده، وتوجيه ذلك لتحقيق الآمال المفيدة، ودفعه للطموح والجد والاكتشاف.

٧ ـ غرس المحبة والإحترام والمودة للوالدين، وتحقيق معاني الطاعة والسكينة لهما.

٨ ـ غرس محبة الأخوة، وحب التعاون معهم، والتضحية من أجلهم، والشعور بالرباط الأسري، مع محبة ذوي الأرحام، والحرص على صلتهم، ومحبة الناس جميعاً، ومبادلتهم شعور المودة والاحترام[1].

وترسيخ الروابط الإسلامية التي حرص عليها الإسلام مثل: كون المجتمع المسلم كما وصفه رسول الله ﷺ كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ولا يكون ذلك إلا بالروابط الإسلامية وحب الإخوة **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** [الحجرات: ١٠].

والمساواة بين الأفراد: الغني والفقير، وأن ميزان التفاضل بالعمل والتقوى «إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يطعم، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلفتموهم فأعينوهم» (رواه أحمد وأبو داود).

والحب والبغض في الله «من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان» (أبو داود).

---

(١) وحدة لتنمية الشعور الديني عند الأطفال/ ٦١، ودور الأم في تربية الطفل المسلم/ ٨ ومنهج التربية النبوية للطفل / ٧٧، وتحفة المودود/ ١٥ والطفل المثالي في الإسلام/ ٢١.

ومنزلة المتحابين عظيمة «على منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء، ويناديهم رب العزة والجلال: أين المتحابون فيّ»[1].

وحسن الخلق، والصبر، ومحبة الآخرين، وعدم الثرثرة أو التكبر، واحترام الكبار ورحمة الصغار، وإنزال الناس منازلهم ومعرفة حقوق الآخرين كالجار، ومحاربة الآفات الاجتماعية، والغيبة والكذب[2].

وهناك وسائل كثيرة لتحقيق كل ما سبق، ويمكن الرجوع إلى كتب التربية في ذلك.

أما أدب الطفل فإنه من أهم الوسائل التي تسهم في عملية البناء التربوي، والحماية من الأخطار التي تهدم التربية وتفسد الفطرة السليمة.

وكما فعل أصحاب المذاهب العلمانية في هدم القيم، وتخريب الذمم، وإفساد الفطر عن طريق الأدب بخاصة، والفنون بعامة، فكذلك على الأدباء الإسلاميين النهوض بمسؤولياتهم لتصحيح ما أفسدوه وخربوه، وليبنوا أدباً حرّاً من ضغوط الواقع أو عقدة النقص.

أدباً يتوجهون به إلى فِطَرِ الأطفال السليمة أولاً لكي تنشأ أسس قويمة، وتتغذى بالكلمة الطيبة والقدوة الصالحة.

ويتوجهون به إلى من جرفتهم تيارات المادية والانحراف لمساعدتهم على رؤية الحق، وتبين الفساد والعودة إلى الاستقامة.

وإذا كان المسلم جوّاب آفاق، يرى الدنيا كلها آفاقاً يمكن ارتيادها، يذهب شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً ليلتمس الحق والحكمة.. إذا كان كذلك، فإنه ـ أيضاً ـ يحمل رسالة للإنسانية؛ رسالة ناءت عن حملها

---

(١) انظر: قواعد البناء في المجتمع الإسلامي: للدكتور محمد السيد الوكيل/ ١١٦ ـ ١٢٦، دار الوفاء ط ١٤٠٧ هـ.

(٢) انظر: قواعد البناء في المجتمع الإسلامي: للدكتور محمد السيد الوكيل/ ١١٦ ـ ١٢٦، دار الوفاء ط ١٤٠٧ هـ.

السمٰوات والأرض والجبال، ويعرف ثقل الأمانة المنوطة به، ويجوب هذه الآفاق وهو يعرف دينه حق المعرفة ويتبصر الهدى من الضلال ويميز الخبيث من الطيب، يعرف دينه معرفة الواثق البصير، لا معرفة من يلتقط الفتات من هنا وهناك، ويجمع الشتات المتناقض ويدّعي المعرفة.

فإذا استوثق من ذلك، وأصبح تصوره واضحاً، ويقينه ثابتاً، جاب الآفاق، ونظر إلى الأمور نظرة الخبير المتمكن، القدير على كشف السيىء من الحسن، فلا يغشّه غاش، ولا يخدعه ضوء ولا بريق ولا رائحة. وبذلك يعرف كيف يختار وماذا يختار.

أما إن لم يكن كذلك، فإن كثيراً من الضلالات والانحرافات، والأفكار والتصورات ستدخل إلى نفسه وإلى تصوره باسم الفن والأدب وفتح النوافذ على الآخرين، والتماس الحكمة التي هي ضالة المؤمن.

ولما كانت التربية لا تنفصل عن العقيدة، ولا تنفصل عن تنظيمات المجتمع أيضاً، لذا من المهم أن يتفهم الأديب المسلم عقيدته أولاً، وأن يعرف ثانياً خصائص المجتمع المسلم ومميزاته وأخلاقه وحدوده، لتحديد متطلباته من الناحية التربوية التي تعد تشكيلاً لدوافع الأفراد.

وكذلك لا بد له من فهم مراحل نمو الطفل، وخصائص كل مرحلة من هذه المراحل لتحديد ما يناسبها، ولاختيار الأسلوب الذي يصلح لتحقيق الأهداف التربوية الملائمة لها.

وفي هذا الخصوص ينبغي ألا نأخذ تقسيمات الغربيين لمراحل الطفولة بالقبول والتسليم، ولا نعتمد على وصفهم لكل مرحلة من هذه المراحل، أو تخطيطهم لما ينبغي أن يقدم له في كل مرحلة.

بل أصبح مهماً أن نراجع ذلك على أسس إسلامية في نظرتها للنفس الإنسانية عموماً، ونفس الطفل خاصة ليكون الأديب على بصيرة مما ينبغي أن يقوله للصغار، وفق أسس موضوعية تناسب مراحلهم المختلفة، وتحقق أهداف التربية الإسلامية.

وإذا كان مهماً أيضاً أن نستفيد من كل الدراسات التي تصب في هذا الجانب أو غيره من النفس الإنسانية، ومناهج التربية المختلفة؛ إلا أن ذلك يحتاج إلى زاد من التأصيل يمنع عنا حالة التبعية والانسياق وراء ما يأتي من الغرب دون معرفة. ولعل أكثر هذه الحالات شائع عند المتخصصين الذين لم يعرفوا في هذا العلم إلا ما كُتب أو تُرجم عن الغربيين، وأصبح متعذراً عليهم ـ وقد بُنيت في نفوسهم رؤى وأفكار وآراء ـ أن يتخلوا عنها، لأن ذلك مرتبط بحالة نفسية، ومركز اجتماعي، وشهادات يفتخرون بألقابها، وما لم نتحرر من إسار ذلك كله لا يمكن أن نتبين المنهج الصحيح في استفادتنا من كل الثقافات والشعوب، مع المحافظة على الأساس الذي يمنحنا وجودنا وهويتنا وصبغتنا الإسلامية.

وأقتطف هنا عبارة للكاتب المشهور في أدب الطفل «عبد التواب يوسف» عن ذلك حيث يقول:

«إن الاتصال بالغرب قد أحدث الانفصال بيننا وبين أنفسنا، وبيننا وبين بعضنا البعض في الدول النامية، وإن كتب الغرب وبرامجه رسخت في أبنائنا قيماً غريبة عن أوطاننا».

ويتابع ذلك قائلاً: «لسنا في حاجة إلى القول بأن هذا كله ـ أي الغزو الثقافي أو الفكري، واستخدام المعلومات لإشادة مراكز داخل حدود الدول النامية تابعة للدول صاحبة النفوذ وصاحبة هذه البرامج لتمارس نفوذها على هذه الدول ـ لسنا في حاجة إلى القول بأن هذا كله ينطبق على كتب الأطفال وبرامجهم، بل إن هناك تركيزاً على الأطفال تمهيداً للسيطرة عليهم مستقبلاً. والتخطيط يتم لهذا في دقة؛ في مجلات الأطفال وكتبهم تتدفق مطبوعات «ميكي» و «تان تان» وغيرها لتسد الطريق على الإنتاج المحلي، وفي الوقت نفسه تسهم في أمركة الأجيال»[1].

(١) كتب الأطفال في عالمنا المعاصر: عبد التواب يوسف/ ١٩، ٢٠.

ويدرك هذا الكاتب ظاهرة مهمة تُحارَب فيها آدابُنا، ومنها أدب الأطفال حين يتجه إلى تأصيل التربية الإسلامية وبثها في هذا الأدب، فينعتون هذا الاتجاه بشتى النعوت التي تدل على تخلفه وعجزه، بل يخرجونه من الأدب أحياناً، ويقولون إنه أدب موعظة وحكمة، وكأن الموعظة والحكمة أسلوبٌ يتنافى مع العقل، أو يتعارض مع الخلق، أو لا يتناسب مع الفطرة البشرية ولا يتفق مع الجمال، وقد ينساق وراءهم كثير من المسلمين، بنية حسنة، أو بقصد سيىء في بعض الأحيان، متناسين أن ذلك أسلوب قرآني جميل، وسبيل من سبل التربية المؤثرة.

والموعظة كغيرها من السبل ينبغي استعمالها بحكمة وقدر مناسب، وإلا فقدت التأثير والفاعلية، مثلها مثل الطعام والدواء وكل أمر نافع إذا زاد عن حده أصبح ضاراً، ولذلك يرى هذا الأديب أن هذه السمة ـ أي الوعظ ـ من سمات المجتمعات الإسلامية. «والأفضل أن يحاولوا تقييمه على هذا الأساس، لأن استخدام مقاييس النقد الغربية لن يوصلهم لشيء»[1].

ومن يتتبع القصص والكتب الخاصة بالأطفال التي ترجمت من الآداب الغربية، ويخضعها للتحليل الموضوعي يلمس آثار الأفكار الغربية، وفلسفاتهم وقيمهم وتقاليدهم مبثوثة في هذه الكتب، بل يلمس كثيراً من الأساليب التي لا توافق سن الطفل، ولا تتفق مع فطرته في هذه الكتب، ولكنها ـ مع ذلك ـ تنتشر ويروَّج لها، لأنها من الغرب، ويُصَدُّ عن غيرها لأسباب أقل من هذه لأنها إسلامية! مثال ذلك: الإسراف في الخيال بدون هدف محدد، وبأسلوب غير محدد ولا مقبول[2] يتعارض مع العقل والمنطق والواقع.

---

(١) المصدر السابق/ ٣٦.

(٢) قصة البستان العجيب، من سلسلة (ليديبرد).

وكذلك هناك حشد كبير من المعاني والقيم، والأمور الخلقية والتقاليد والعادات البعيدة عن الإسلام، والحياة العربية. فضلاً عن الخيالات المريضة، والقصص المبنية على الوهم والخيال والمفاجآت المرعبة.

وأما القصص التاريخية فإنها تربط البطولة والقدوة بأسماء أجنبية ومواقف بعيدة عن تاريخنا، وتصور سماتهم وأعمالهم للنشء بأنها الأسوة الحسنة[1].

من هذا كله ندرك أهمية هذا الأدب من الجانب التربوي، إنه يستطيع أن يزود الطفل بالقيم الثابتة: بالتصوير، والرسم؛ ليرى الطفل واقعاً إسلامياً، وصورة إسلامية، ويرى في ذلك القدوة الحسنة. في صورة الأبوين، وصورة الأسرة المسلمة التي يشيع فيها الحب والوئام، وتظللها الآداب الإسلامية، ويسري في حناياها روح الإيمان؛ لأن طفل اليوم أصبح وسط مؤثرات كثيرة ومتضاربة: البيت، والمدرسة، ووسائل الإعلام، والطريق، والنادي، والأصدقاء والمجتمع بكل ما فيه من تناقضات ومغريات وأصوات وألوان وأضواء. وكلها تشده إلى جهاتها. والطفل موضع نزاع بين هذه المؤثرات لانعدام الانسجام، والتخطيط والتوافق في مجتمعاتنا.

وأدب الطفل يسهم إلى حد كبير في تحقيق صورة من صور الانسجام والتوازن للطفل إذا نجح في رسم الصور المؤثرة الصحيحة.

---

(١) انظر: بحث: في أدب الأطفال، تحليل ودراسة لنماذج من كتب وقصص الأطفال: محمد ديب أبو عابد، منار الإسلام العدد الثاني السنة الرابعة عشرة أيلول سبتمبر/ ١٩٨٨ م، صفر/ ١٤٠٩ هـ ص ١٠٦ ـ ١١١.
ويتناول الكاتب بالتحليل عدداً من القصص المترجمة من سلسلة (ليديبرد) ويستخلص بأنها تحاول إبراز القيم والعادات الغربية، مع إساءات كثيرة لقيمنا وتاريخنا، ومما يؤسف له أن بعض وزارات التربية والمعارف في الدول العربية قد تبنت هذه الكتب ونشرتها بين أطفال المدارس.

ويسهم إلى حد كبير في التربية التي أصبحت من أشق الأمور وأصعبها ومن أهم المسؤوليات وأخطرها، ليس على الأبوين أو المدرسة فحسب، بل على كل فرد في المجتمع، والأدباء في طليعة الذين يتحملون المسؤولية في هذا الجانب.

ومن هنا يرتسم الهدف التربوي لهذا الأدب.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف لا بد من معرفة مراحل النمو المختلفة كما قلنا لتحديد المناسب لكل مرحلة من هذه المراحل وفق خصائصها وسماتها.

وإذا أردنا لأدب الأطفال أن يعطي ما يُنتظر منه في مجال التربية، ينبغي أن يتوافر له التوافق مع مطالب النمو في المضمون والشكل والأسلوب[1].

وبهذا يحقق أهم أهدافه، لأنه أصبح أداة تربوية تثقيفية، وله أثر فعال في تكوين شخصية أطفالنا «ولذا ينبغي ألا يترك مشاعاً للترجمات الرخيصة، والاقتباس الرديء، والسعي وراء الربح السريع»، وينبغي ألا نتذرع بتعطش الأطفال إلى المعرفة، فنطلق لهم حرية القراءة.

ويمكن أن نحدد مراحل النمو بما يلي:

١ ـ مرحلة ما قبل الميلاد.

٢ ـ مرحلة المهد.

٣ ـ مرحلة الطفولة المبكرة (قبل المدرسة ٣ ـ ٦ سنوات).

٤ ـ مرحلة الطفولة الوسطى ٦ ـ ٨ سنوات (المدرسة الابتدائية).

٥ ـ مرحلة الطفولة المتأخرة ٨ ـ ١٢ سنوات (المدرسة الابتدائية وبداية المتوسطة).

---

(١) الاتجاهات الجديدة في ثقافة الأطفال، النادي الثقافي العربي، بحث: أدب الأطفال ومراحل النمو: للكاتبة صبيحة فارس/ ٧٩.

٦ ـ مرحلة المراهقة ١٢ ـ ١٨.

٧ ـ مرحلة الرشد[١].

وفي المرحلتين المبكرتين الثانية والثالثة لا يكون لأدب الأطفال صلة مباشرة أو قوية[٢]؛ إلا ما كان من الأغاني وبعض القصص المحسوسة، التي ترافقها الصور والألوان؛ وأما في مرحلة الطفولة المتوسطة فيمكن تقديم ألوان جديدة هادفة للطفل، لأنه يتمكن من استخدام حواسه لاختبار البيئة المحيطة به، ويتأثر بهذه البيئة: كالأسرة والمدرسة وما فيهما من مؤثرات مختلفة، وهنا ندرك أهمية الرائي وتأثيره المباشر على الأطفال.

وفي المراحل الأخرى يصبح أكثر قدرة على الفهم، والتفكير، والتخيل، وتزداد صلته بالمجتمع. ومن هنا يدرك الأديب أهمية التفكير فيما يكتب للأطفال في هذه المرحلة، وكيف يكتب[٣].

● ● ●

(١) المصدر السابق/ ٨٠، وأدب الأطفال: محمد محمود رضوان، وأحمد نجيب/ ٧١.

(٢) وإن كان بعضهم يرى أن الطفل يبدأ بسماع القصة من سن الثانية من عمره (في أدب الأطفال) للحديدي/ ٨١، وأدب الأطفال: محمد محمود رضوان.

(٣) إن الحديث عن مراحل النمو، وما يلائمها من أفكار وصور وألوان وثقافات يحتاج إلى بحث طويل، وأرجو الله عز وجل أن يتيح لي ولغيري البحث في ذلك على أسس إسلامية موضوعية، وانظر (القيم التربوية في ثقافة الطفل) الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٥ م/ ٣٩ وما بعدها.

obeikandl.com

ثالثاً: الأهداف التعليمية

هذا الهدف مكمل للهدفين السابقين، ويعده المختصون بالتربية جزءاً من التربية، وليس منفصلاً عنها، ولكن إفراده يدل على أهمية الأمور التي يمكن أن يتناولها هذا الهدف، ويبين الجانب التعليمي المهم في أدب الطفل. فتعليم الطفل قراءة القرآن مثلاً له جانبان: جانب عقيدي وتربوي، وجانب تعليمي.

ـ الجانب الأول يتعلق بفهم العقيدة وترسيخها، والتمسك بكتاب الله، والتخلق بأخلاق القرآن الكريم.

ـ والجانب التعليمي يتعلق بقراءة القرآن ذاته، وتجويده، واكتساب مهارة القراءة عموماً؛ بحيث تصبح هذه المهارة وسيلة للفهم، والثقافة و. . .

ـ ولذلك فإن من أهم الأهداف التعليمية لأدب الأطفال تنمية مهارات القراءة والكتابة عندهم، وتزويدهم بثروة لغوية فصيحة تزيد من ثروتهم وخبراتهم الخاصة، وتنمو هذه الثروة والخبرات مع نمو أعمارهم ومراحلهم وقراءاتهم. ولذلك فإن الأديب يحتاج إلى فهم القاموس اللغوي للأطفال في كل مرحلة من مراحلهم، ليكون استخدامه للألفاظ مناسباً ومفهوماً[1] وبالتالي للترقي بالمحصول اللغوي من حيث الزيادة

---

(١) أصدرت المنظمة العربية للثقافة والعلوم كتاب: الرصيد اللغوي للأطفال في مرحلة الدراسة الابتدائية، وهو قائم على دراسة ميدانية لحصر الألفاظ المستخدمة في أرجاء الوطن العربي، وانظر: أدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٩٤.

والتنويع[1].

- وكذلك يهدف أدب الأطفال إلى الارتقاء بأساليب التعبير للأطفال عن طريق استخدام شتى الأساليب المناسبة، كالأسئلة والحوار، وأسلوب التعجب.. إلخ[2] وتساعد قراءة القرآن على ذلك وللقصة والمسرحية تأثير في تحقيق هذا الهدف أيضاً.

- وكذلك يهدف أدب الأطفال إلى تقويم ألسنة الأطفال وكتاباتهم عن طريق تدريب سلائقهم على الضبط اللغوي، وسلامة النطق، وحسن الأداء المعبِّر عن المعنى والموافق للفكرة، والمعين على إيصال المعنى للسامع بشكل فعّال.

- وكذلك يهدف إلى تعويد الأطفال استخدام المجاز والاستعارة والانتقال من المحسوس إلى المعنوي.

- ولتحقيق هذه الأهداف لا بد من استخدام أسلوب يلائم سن الطفل، وقدراته، وقاموسه اللغوي، وأن يكون شيقاً جذاباً يستجيب لحاجات الأطفال الوجدانية والفكرية[3].

- وفي كل هذا، من المهم الحرص على الفصحى في مخاطبة الأطفال والكتابة لهم، بطريقة ملائمة بعيدة عن الافتعال والصعب والمعقّد من التراكيب[4]. ولكن ذلك لا يعني - كما يفهم بعضهم - البعد عن كل لفظ قديم، وبالتالي الغرق في الألفاظ الجديدة، والتراكيب المستحدثة. فهذا خطر على مستقبل الأطفال، لأنه سيؤدي إلى نفورهم من التراث، وبعدهم عن كل قديم. ولعل كثيراً من دعاة التطور والحداثة يريدون ذلك

---

(١) أدب الأطفال في ضوء الإسلام: د/ نجيب الكيلاني/ ١٤٤.
(٢) أدب الأطفال: محمد محمود رضوان وزميله/ ٥٠ - ٥٣.
(٣) ثقافة الطفل العربي: جمال أبو رية - دار المعارف/ ٦٠.
(٤) المصدر السابق، وأدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٩٤، في أدب الأطفال: د/ الحديدي/ ٧١ وما بعدها.

من وراء دعواتهم، لكي تصبح أذواق الناشئة تعاف أن تصبر على قراءة آية قرآنية أو حديث شريف، أو كل نص من غير القرن الأخير وتنفر من كل قديم. ولذلك فإن أدب الأطفال يمكن أن يشكل جسراً بين واقع الطفل ومستقبله من جهة، وبين تاريخه وأصوله من جهة أخرى، عن طريق اختيار الموضوعات من ناحية، واختيار الأسلوب المناسب، مع التدرج في هذا الأسلوب من السهل إلى الصعب ـ بالنسبة للطفل ـ ومن المألوف إلى غير المألوف، ومن الحديث إلى القديم وهكذا.

ـ ومن أهداف أدب الطفل التعليمية تزويده بألوان متعددة من الثقافة بمعناها الشامل «وهي مجموعة العوامل المشتركة بين أفراد المجتمع، التي تمثل العقيدة والقيم والعادات والتقاليد وطرق السلوك التي يتميز بها مجتمع معين عن غيره»[1].

ـ وهذه الثقافة تشمل أموراً كثيرة مثل «تقديم المعلومات العامة والحقائق المختلفة عن الحياة والمجتمع في بيئة الطفل وغيرها من البيئات، وتقديم المضمون العلمي والأفكار المقتبسة من العلوم المختلفة، وتقديم المضمون التعليمي الذي يستمد مادته من المناهج المدرسية[2] مع تحقيق النمو اللغوي للأطفال، والتدرب على طلاقة اللسان والإلقاء الجيد، وحسن مخاطبة الآخرين، وتعوُّد الشجاعة الأدبية، ومواجهة الناس والمجتمع[3].

---

(١) تثقيف الطفل: د/ فاروق عبد الحميد اللقاني، منشأة المعارف/ ٣، والقيم التربوية في ثقافة الطفل، فصل قصص الأطفال والقيم التربوية في ثقافة الطفل/ ٨٦.
وانظر كتاب: مشكلة الثقافة: للأستاذ مالك بن نبي رحمه الله ففيه تحليل جيد لمفهوم الثقافة.

(٢) فن الكتابة للأطفال: أحمد نجيب/ ١٧٥، وأدب الأطفال ومكتباتهم/ ٤٧، والقيم التربوية في ثقافة الطفل/ ٩١.

(٣) المصدر السابق/ ٩١.

- ويهدف أدب الطفل إلى تنشيط تفكير الأطفال في مجالات كثيرة: كالتذكر، والتخيل، وتركيز الانتباه، والربط بين الحوادث، وفهم الأفكار والحكم على الأمور، وحسن التعليل والاستنتاج، وبالاختصار: فإنه يساعد على النمو الفكري للأطفال، ويعلمهم أنماطاً من التصرف السليم في المواقف المختلفة، وإزاء المشكلات التي تعترضهم[1].

- فضلاً عن هذا كله فإن أدب الطفل يساعد على بناء شخصيات الأطفال وتكوين المعايير والقيم والعادات والاتجاهات الصحيحة عندهم، وتقوية جانب الإرادة، وتحقيق كثير من المزايا التي يكتبها عن طريق التأثير بما يقرأ، والتمثل بما يفهم من هذا الأدب.

- وأدب الأطفال يعين على اكتشاف الهوايات والحصول على المهارات الجديدة، ويعمل على تنمية الاهتمامات الشخصية عند الطفل»[2].

- وهكذا فإن أدب الطفل أداة تعليمية وتربوية، يواكب المناهج الدراسية، بل يرتقي بالطفل إلى مستويات أفضل، لأنه يخاطب وجدانه وعقله، وينطلق بخياله إلى آفاق المستقبل، ويزوِّده بمعلومات ومهارات وخبرات كثيرة ومتنوعة، ويفتح له طرق الاستمتاع بتحقيق مواهبه، وتنمية قدراته الخاصة. وهنا ندرك مسؤولية الأديب الذي يكتب للأطفال، ومهمته في تحقيق كثير من هذه الأهداف بطريقة تلائم الطفل وتمتعه، وتحقق له الغاية المنشودة من القراءة، وهذا يتطلب فهم الطفل، وفهم البيئة، وفهم الفن في وقت معاً، وهي عملية شاقة - ولا ريب - ولكنها المسؤولية التي أنيطت بالكاتب، والأمانة التي عليه المحافظة عليها.

● ● ●

(١) المصدر السابق/ ٩٣، وأدب الأطفال ومكتباتهم/ ٤٧، وأدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٩٠.

(٢) المصدر السابق/ ٤٨، وأدب الأطفال: هادي نعمان الهيتي/ ٨٩.

رابعاً: الهدف الجمالي

هذا الهدف مكمل لبقية الأهداف السابقة، ولكنه ينفرد بنواح مهمة في توجيه شخصية الطفل المسلم، وتشكيل سمته.

والإسلام له مفهومه الخاص عن الجمال، هذا المفهوم الذي ينبثق من مفهوم الإحسان في كل عمل، ومن منطلق «إن الله جميل يحب الجمال»[1].

والإسلام يعتني بالمظهر كما يعتني بالجوهر والحقائق، ويلتمس نظافة الوسيلة وجمالها، كما يلتمس سلامة الغاية والهدف وجمالهما.

ولكن مفهوم الجمال في الإسلام يختلف عن مفهومه عند الآخرين، لأنه يرتبط بالحق ومنهج الله عز وجل، والوصول إلى مرضاته، ويرتبط بأداء الواجب وتحقيق التناسق والتلاؤم مع سنن الكون ونواميس الحياة، ولذا فإن الفساد والشر والمعصية والباطل، إلى جانب كونها من المحرمات، هي من الأمور القبيحة لأنها تتصادم مع الحق، وتتعارض مع منهج الحياة وفطرة الإنسانية.

فالجمال ليس بالمظهر، والزينة، ومقاييس الجمال التي تلازم العري والتكشف، وإبداء المفاتن.

---

(١) جزء من حديث، وجاء في عدة روايات منها عند مسلم: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس» وهناك رواية أخرى للحديث في مسند الإمام أحمد.

الجمال إحسان، وانسجام، واطمئنان.

الجمال اتزان في الفطرة الإنسانية، وانسجام مع نواميس الكون، وإحسان في أداء الأعمال، وسمو في اختيار الأشياء.

وعلينا أن نتخلى عن النظرة الغربية للجمال، التي ربطوها ببعض الفنون كالرسم، والنحت والتصوير، والرقص...

وحصروها في المادة، والمظاهر الإنسانية بعيداً عن الجوهر، والروح، والسلوك.

لا شيء - في إحساس المسلم - جميل إن كان مخالفاً لشريعة الله، بل هو القبح والسوء. ولا شيء عند المسلم يقرب من الجمال ما دام يتعارض مع سنن الكون وفطرة الإنسان السليمة.

ولهذا من المهم جداً أن نغرس في نفوس الأطفال المفاهيم الإسلامية في الجمال - والصور الجميلة التي عرضها كتاب الله عز وجل مقترنة بالدلالات الإيمانية، أو صور الحقيقة الساطعة، أو توجهات الخير والهدى.

بل من الأهم أيضاً أن نبعد الأطفال عن الصور الشائنة لجماليات الحياة الغربية المرتبطة بالفنون، والنجوم، وشتى الصور المنحرفة، حتى لا تغدو الشخصيات المرتبطة بهذه الفنون قدوة، وأمثلة تحتذى من قبل الجيل.

إن الإنسان المهتدي بشرع الله، الملتزم بأوامر الله عز وجل، القائم بما عليه من واجبات، المحسن في سلوكه، اليقظ في إحساسه نحو الأشياء، المقدر لمسؤوليته في الحياة.

إن الإنسان المتّصف بما سبق هو القدوة، وهو الذي يمثل قيم الجمال في السلوك الإنساني.

وإن النظر بمنظار الإيمان للأشياء هو الذي يحدد الصفات الجميلة لهذه الأشياء. الصفات التي لا تخرج عن نطاق المنهج الرباني المتكامل في الحياة.

● ● ●

وأستعير في هذا المقام العبارات التي صورت ظاهرة الجمال للأستاذ صالح الشامي لأنها موجزة ودقيقة حيث يقول عن التصور الكلي للظاهرة الجمالية في الإسلام[1]:

- «الجمال حقيقة ثابتة في كيان هذا الوجود.
- وهو (قيمة) من القيم العليا، تعلو على (المنفعة) و (اللذة).
- وهو سمة بارزة في الصنعة الإلٰهية.
- وإن وجوده فيها (مقصود) لا عرضي.
- وإن من خصائصه (العموم والشمول).
- وهو (الذروة) دائماً، إذ به تستكمل القضايا والأشياء.
- وإن (الطبيعة) ميدان من ميادينه.
- وإن وجوده فيما لا ينفر منها، كوجوده فيما ينفر.
- وإن (المنهج) الإلٰهي واحد من ميادينه.
- يقوم الجمال في مادته وفي أسلوبه.

---

(١) ألف الأستاذ (صالح الشامي) حفظه الله كتاباً قيماً عن (الظاهرة الجمالية في الإسلام) من ثلاثة أجزاء. في الأول درس هذه الظاهرة وانتهى إلى هذه العبارات التي لخص بها ما توصل إليه، وفي الثاني بحث في (ميادين الجمال) الطبيعة، الإنسان، الفن، وفي الثالث بحث في (التربية الجمالية في الإسلام) والأجزاء الثلاثة ضمن عنوان مشترك (دراسات جمالية إسلامية) نشر المكتب الإسلامي.

ـ وسمات المنهج هي المقاييس الجمالية الثابتة.

ـ وإن تطبيق المنهج يحقق الجمال في الحياة.

ـ وإن (الإنسان) واحد من ميادينه.

ـ يعم الجمال ظاهره وباطنه.

فهو في ظاهره حقيقة ووجود. وهو في باطنه فطرة واستعداد.

ـ والإنسان مدعو إلى تطبيق المنهج لكي يحقق الجمال في كيانه النفسي وفي سلوكه وفي إنتاجه، و (الفن) بعض إنتاجه.

ـ والظاهرة الجمالية لا تستمد وجودها من الفلسفة، وإنما من المنهج الإلهي.

ـ ولذا كان التصور الكلي ـ المسبق ـ لهذا المنهج ضرورة لازمة إذا أردنا الوقوف على تصور كلي للظاهرة الجمالية، ذلك أن التصور الثاني في مقام الظل من التصور الأول»[1].

وأدب الطفل من أهدافه الكبيرة التربية، والتربية عملية تقويم وتوجيه لسلوك الإنسان لتطبيق منهج الله عز وجل[2]، أو لتحقيق معنى العبودية لله عز وجل في حياة الإنسان على مستوى الفرد والجماعة والإنسانية[3].

وهذه التربية عملية شاملة تسهم في تحقيقها مؤسسات كثيرة، ابتداء من البيت، وانتهاء بالمجتمع الإنساني الكبير.

والتربية الجمالية التي أفردنا لها هذا الفصل جزء هام من التربية الشاملة التي ينبغي أن توجه للأطفال، لأن الجمال سمة هذا الدين، وسمة المنهج الإلهي، وبالتالي ينبغي أن يكون سمة للآداب الإسلامية جميعاً،

---

(١) الظاهرة الجمالية في الإسلام/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.
(٢) التربية الجمالية في الإسلام/ ١٢.
(٣) مدخل التربية في ضوء الإسلام: للأستاذ عبد الرحمن الباني/ ٦٩.

الآداب الموجهة للكبار، أو الموجهة للصغار.

ومفهوم التربية الجمالية في الإسلام هو حصيلة لقاء بين التربية وعلم الجمال[1].

والتربية الجمالية للطفل المسلم ليست منفصلة عن التربية الإسلامية الشاملة، بل هي جزء منها، وسمة من سماتها، وخاصة من خصائصها، لأن الجمال ـ في الأصل ـ لا يقوم بنفسه، وإنما يقوم بغيره، وعلى هذا فكل تربية إسلامية هي تربية جمالية[2]، وغاية هذه التربية تحقيق المنهج الإسلامي.

وكما رأينا في الصفحات السابقة، فإن من خصائص الجمال في الإسلام، العموم والشمول، ولذا فالتربية الجمالية تتناول جميع المسلمين، ولكل مراحل العمر تصبغ نفس الإنسان بصبغتها، وتجَمِّل جميع نشاطاته، ولا تقتصر على جانب واحد بل تستغرق كل جوانب الحياة الإنسانية.

وكل التوجيهات والأوامر الإسلامية تؤكد على تحقيق الجمال للوصول إلى الإتقان «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[3]، بل إن الإحسان أرقى مرتبة من مراتب العمل والإتقان والجمال. ولذلك يطلب المنهج الإسلامي من المسلم الإحسان في كل شيء حتى في الذبح وأبسط الأعمال[4].

وإذا حرص الإسلام على قيمة الجمال في كل شيء، ولا سيما في عمل الإنسان ونشاطه، فلأنه قائم في فطرته ذاتها أنه يحب الجمال؛ فإذا التزم المسلم بِسِمَةِ الجمال، فإنه ينسجم مع المنهج الشامل، ويسير مع

---

(١) التربية الجمالية في الإسلام/ ١٩.
(٢) المصدر السابق/ ٢٠.
(٣) الجامع الصغير وقال عنه: حديث حسن. انظر المصدر السابق/ ٢٨.
(٤) قبسات من الرسول: للأستاذ محمد قطب، فصل: وليرح ذبيحته، وفيه كلام جميل عن هذا المعنى.

التزامه بالإسلام كله[1].

والميادين التي يظهر فيها الجمال كثيرة: بعضها ميادين ظاهرة، وبعضها ميادين غير ظاهرة، منها ما يتعلق بجماليات المظهر من جسم ولباس وهيئة وكلام.

ومنها ما يتعلق بجماليات الباطن كالفكر والعلم والأخلاق[2].

وأدب الطفل له إسهامات كثيرة في الجانب الجمالي، بل إن هذا الهدف مهم جداً في هذا الجانب لأنه جزء من التربية، وطريقٌ لتصعيد الصور المختلفة إلى أرقى مستوياتها عند الطفل.

وإذا كان هذا الهدف واضحاً عند الكاتب استطاع أن يسهم في تكوين صور مترابطة متكاملة من صور الجمال، وصور الإتقان وصور الإحسان عند الطفل، واستطاع أن ينقل الطفل إلى سلوك يتسم بهذه الخاصية المهمة، حتى تبدو في مأكله ومشربه، وملبسه، وهيئته، وسلوكه، وكلامه، وتعامله مع الآخرين.

فضلاً عن فتح الآفاق أمام الطفل لكي يتملَّى من مشاهد الكون، ويتوقف عند دقائق النفس فيمتلىء بشعور العرفان، والانبهار أمام عظمة الخالق، وألوان الجمال، وبدائع الإتقان، فيزداد إيمانه، ويرهف حسه، وتتسع آفاقه، وتصفو نفسه.

والطفل المسلم بحاجة لتعميق سمة الجمال في نفسه، لأنها السمة التي تنتظم فيها جميع تصرفات المسلم، ولأنها قرينة السمو والإحسان وصفة من صفات الإتقان، والطفل بحاجة أيضاً لكي ينشأ على الإحسان في كل عمل، والسعي إلى السمو نحو الأفضل والأكمل؛ لكي يمتلىء

---

(١) التربية الجمالية في الإسلام/ ٣١.
(٢) المصدر السابق.

قلبه بالإيمان، ويرهف حسه لتذوق آيات الجمال، وترقُّ طباعه لإيثار الإتقان والاستحسان، ولمعرفة الحق والالتزام به، بل إن التربية الجمالية تدفعه لإدراك الفرق بين الخير والشر، والخطأ والصواب، والحق والباطل، والإيمان والكفر، فيحب الخير والصواب والحق والإيمان، وينفر ويمقت الشر والخطأ والباطل والكفر.

وأدب الطفل أيضاً يمكنه أن يسهم في تربية الذوق الفني للطفل وينمي مواهبه في معرفة كثير من الفنون كالخطوط، والكتابة الزخرفية والتصوير الإسلامي، والعمارة الإسلامية[1].

مما سبق نستنتج أن أدب الطفل أدب ملتزم بأهداف سامية، لأنه وسيلة تربوية مهمة، ومن أهدافه الكبيرة تربية الطفل وإعداده ليكون أهلاً لتطبيق المنهج الإسلامي، وواحداً من الذين يتشرفون بحمل رسالة الإسلام للعالم، لأنها رسالة الإنسانية الكريمة، وليكون عبداً مؤمناً صالحاً، يعرف حدود عبوديته ومقتضياتها، وينهض بحقوق الأمانة وواجب المسؤولية المنوطة به.

ولا يعني هذا أن يتحول أدب الطفل إلى دروس في التربية والتعليم، وإنما يعني أن يكون الأديب واعياً لعمله، مقدراً الغايات السامية التي يهدف إليها في هذا اللون الأدبي الذي يبدعه للصغار، وحين يتحقق ذلك يستطيع أن يمضي في سبيله على بصيرة، ويحقق هدفه بنجاح وحكمة دون أن يخل بمستلزمات هذا الفن أو يخرج عن سماته المميزة له.

العلمانيون ـ على مختلف مشاربهم ـ يُسخِّرون الأدب لتسميم الأجيال وإفساد الناشئة، وتخريب الأفكار والأذواق، لإخراجها عن استقامة

---

(١) ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية: صالح الشامي، المكتب الإسلامي، بيروت ط ١ سنة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م.

الفطرة.. ولا يرون في عملهم ذاك بأساً، فلماذا لا ينهض المسلم ليرسم منهجه في الأدب أو العلم، والتربية، مهما تعالت الصيحات المستنكرة خوفاً على الأدب والعلم والتربية، وخوفاً على قواعد الفن ودنيا الأدب، فتلك خطط أضحت معروفة ومكشوفة.

ويعترف الجميع بالطابع التربوي لأدب الأطفال، وضرورته وأهميته، كلاً وفق عقيدته ومنهجه[1]، لأنه «دخل في ميادين الصراع الفكري منذ وقت ليس بقصير، ويعد أدب الأطفال اليوم أخطر مجال للتبعية الثقافية والإعلامية، إذ يستخدمه الاستعمار لغزوه الثقافي والإعلامي - ويتلقى الطفل العربي المنتوجات الأدبية والفنية الغزيرة وفي شتى الفنون والوسائط بقصد التأثير على تكوين الناشئة والترويج للنمط الثقافي التابع..»[2].

وقد تزداد أهمية هذا النوع من الأدب إذا علمنا أن نسبة الأطفال في عالمنا تزداد حتى بلغت ثلث عدد السكان تقريباً. ومثل هذه النسبة تحتاج إلى بذل جهد مخلص لإعدادها الإعداد الصحيح، وأدب الأطفال له إسهاماته الكبيرة في ذلك.

وكذلك قررت بعض الدراسات للأمم المتحدة أن نسبة الإنفاق على الأطفال في مجموع الدول العربية لا يمثل أكثر من ٠,٠٣٪ مما كان يجب أن يمثل الحد الأدنى للإنفاق على مجموع الأطفال، حيث يمثل تعدادهم نسبة تقدر بـ ٤٣٪ من تعداد السكان في العالم العربي[3].

وإذا كنا قد ركزنا في الفصول السابقة على الأهداف الأساسية لهذا الأدب، فإننا لا ننسى الجانب الترويحي له أيضاً - وهو جانب مهم - يزيد في نشاط الطفل، ويساعده على تحقيق نوع من التوازن في شخصيته،

---

(١) الموقف الأدبي، العدد الممتاز عن أدب الأطفال في سورية العدد (٢٠٨ - ٢٠٩ - ٢١٠) تشرين الأول ١٩٨٨ م، السنة ١٨، ص ٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ثقافة الطفل العربي - جمال أبو رية/ ٧، سلسلة كتابك.

ويدفعه إلى مزيد من العطاء بحيوية ونشاط كبيرين.

ولهذا كله أصبح لزاماً على الأدب الإسلامي أن يهتم بأدب الطفل، اهتماماً ينبع من المسؤولية وأن يرسم منهجه بأصالة، وأن يربط بين غاياته وأساليبه دون خوف من صيحات التحذير والاستنكار التي تتصاعد كلما لاحت بارقة إسلامية.

ولكن هذا الأدب بحاجة إلى أن يخط طريقه على أسس إسلامية صحيحة واضحة، وألا يقع في أسر المخاوف والتبعية بقصد أو بغير قصد، وبدون أن يضطره الموقف إلى ردود أفعال بعيدة عن القصد والاستقامة.

وإذا كان لزاماً أن يطلع الأدباء على كل ما صدر عند الشعوب في هذا المجال، فإنه من الخطر أن يعدوا ذلك سابقة تستحق الاقتداء والاقتباس، فالمسلم يلتزم منهجه، ويأخذ كل ما يراه منسجماً مع هذا المنهج، ليس تعصباً، وإنما طاعة لله، ويقيناً بأن هذا المنهج هو الطريق المستقيم، وطريق الإنسانية التي تريد الخير، وتريد التكريم.